الفصل الثالث

العمل الصالح إتقان

العمل الصالح في ظل الفهم الشمولي للإسلام ، لا يقتصر على أداء الشعار الدينية فحسب ، وإنما يستوعب كل عمل في الحياة من حيث إخلاص النية لله في أدائه ، ثم ابتغاء مرضاة الله ﷻ والرجاء في حسن ثوابه، وتلك هي الباقيات الصالحات التي يخلفها الأثر الإيماني للعمل .

وإتقان العمل وإحسان أدائه هما التعبير العملي عن القيم الإيمانية الباعثة على الإخلاص في أداء العمل، وهو ما سيتناوله هذا المبحث على النحو التالي :

أولاً : إخلاص النية لله ﷻ في أداء العمل

ثانياً : مفهوم العمل الصالح

ثالثاً : إتقان العمل

رابعاً : الأثر المدمر للإهمال

❁ ❁ ❁

وفيما يلي عرض تفصيلي لتلك الجوانب ، مدعوما بدليله من القرآن الكريم ، ثم من السنة المطهرة .

أولاً: إخلاص النية لله ﷻ في أداء العمل :

لا يعد العمل صالحا ما لم تسبقة نية مخلصة متوجهة إلى الله وحده لا شريك له، فإذا خلصت النية فإن العمل سيكون في مستوى أعلى من الإتقان في الأداء، حيث يسعى العامل إلى بذل غاية الوسع وأقصى الجهد في سبيل صلاح العمل وحسن أدائه .

وأساس النية الصالحة ، هو إخلاص التوجه لله ﷻ في الأمر كله

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

هذا التوجه المخلص لله في الشأن كله ، هو شعار المسلم في الحياة .. سواء ماتعلق منه بأداء الشعائر والنسك .. أو ماتعلق بالعمل والسعي في طلب العيش .

وجاء التوجيه القرآني بأهمية الإخلاص في آيات أخر .. منها :

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [الزمر: ١١-١٤]

ومن بين آلاف الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ .. إختار الإمام البخاري أن يبدأ صحيحة بهذا الحديث الهام الثابت

عَنْ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ولِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّه ورَسُولِه فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّه ورَسُولِه ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه»[1].

وبلغ من شدة التحذير النبوي من أثر عدم الإخلاص في عقاب الآخرة .. ماورد عن أبى هريرة ﷺ حيث قال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ :

«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ ولَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِه حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ورَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وعَلَّمَهُ وقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِه فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِه حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ورَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْه وأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّه فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِه فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِه ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[2].

ثانياً:مفهوم العمل الصالح :

فرض الله سبحانه جل شأنه على العباد، العمل والسعي في طلب الأرزاق، تأدباً في الأخذ بالأسباب .. فقال:

● ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[الملك: ١٥].

---

١) رواه البخارى فى صحيحه – كتاب الإيمان – باب ما جاء فى أن الأعمال بالنية

٢) حديث مرفوع متصل رواه مسلم فى صحيحة بكتاب الإمارة – باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

● ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة: ١٠].

وقد استخلص أحد الباحثين الدعوة الحثيثة للعمل والإنتاج في القرآن الكريم، بدلالة كلمات :

(اتنشروا فى الأرض ..) و(ارعوا) (وكلوا) و(ابتغوا) الرزق.. ثم كلمات: (لتأكلوا منه لحماً طرياً) و(تستخرجوا منه حليه تلبسونها) وما يتطلبه الصيد واستخراج الحليه من صبر وتعب وعناء ، والقرآن ملئ بهذه التوجيهات التى تفرض على المسلمين تنظيماً علمياً دقيقاً لتطبيق هذه الأسس في علاج أسباب الندرة بالجهد والعرق[1].

والعمل الصالح جاء به الذكر الحكيم مرتبطا بالتقوى والإحسان ، كما في قول الله ﷻ :

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣]

وجاء النص صريحا في استيعاب العمل الصالح لأمانة علاقة المشاركة بين المتعاملين ، حيث جاء في قول سيدنا داود عليه السلام لمن تسوروا عليه المحراب، قوله :

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤]

وجاء في القرآن الكريم المفهوم العكسي لدلالة الإصلاح ، بمعنى الإفساد في الأرض وإساءة العمل فيها ، فقال سبحانه جل شأنه :

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[ص: ٢٨].

وقال تبارك اسمه :

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[غافر: ٥٨].

ولشرف العمل وعلو قيمته الإنسانية ، يلاحظ أن الرسل لله جميعاً ـ كانوا ـ أصحاب

---

١) الدكتور/ حسن صالح العنانى – المرجع السابق – ص ٢٦

حرف، فكان نوح نجاراً، وإدريس كان خياطاً، وإبراهيم كان بزازاً، وكان داود يصنع الدروع وسليمان كان يصنع المكاتل من الخوص. وزكريا كان نجاراً، ونبينا ﷺ كان يرعى في بعض الأوقات.

وكذلك الأمر في صحابة رسول الله ﷺ، فكانوا جميعا أصحاب حرف. فكان أبوبكر الصديق ﷺ بزازاً وعمر ﷺ كان يعمل في الأدم، وعثمان ﷺ كان تاجراً يجلب إليه الطعام فيبيعه، وعليّ ﷺ كان يكتسب على ما روى أنه أجر نفسه غير مرة حتى أجر نفسه من يهودي»[1].

وقد جاءت دعاوى الأنبياء والرسل جميعا بالدعوة إلى توحيد الله ﷻ، ثم التنبيه إلى إصلاح الجوانب المعتلة في قومهم، ومن بين هؤلاء رسالة سيدنا شعيب إلى أهل مدين ودعوتهم إلى الإصلاح الاقتصادي وعدم الغش في الميزان، وفي ذلك قال الله ﷻ:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[هود: ٨٤-٨٦].

وكان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يقدم درجة الكسب على درجة الجهاد، ويقول: لأن أموت بين شعبتي رحلي أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله أحب إلى من أن أقتل في سبيل الله، لأن الله تعالى قدم الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضله على المجاهدين بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المزمل: ٢٠][2]

---

١) الدكتور/ السيد عطية عبدالواحد-مبادئ الاقتصاد الإسلامي - دار النهضة العربية الطبعة الأولى ص١٨٢

٢) الدكتور/رفعت العوضي-من التراث الاقتصادي للمسلمين-رابطة العالم الإسلامي بمكةالمكرمة ص٢٥-٢٦

ومر سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بقوم، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: المتوكلون قال: أنتم المتأكلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبة ـ أى بذرة ـ في بطن الأرض وتوكل على ربه ﷻ[1].

ثالثاً: إتقان العمل:

بلغ من شأن الإتقان والإحسان أن جعله الله ﷻ صفة وسمتا لكل شئ صنعه ، فقال سبحانه جل شأنه :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[النمل: ٨٨].

وقد وصف الله ﷻ قدرته في إحكام خلق كل شئ بإحسان أدائه ، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧]

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤]

وقوله جل شأنه:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[التين: ٤].

والإتقان وإحسان أداء العمل يتوقف عليه الحساب يوم القيامة كما جاء في قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾[النجم: ٣١].

وجاء في الهدى النبوي في مسند أبى يعلى حديث النبى ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

---

١) الدكتور / يوسف إبراهيم يوسف – السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي – سلسلة الدراسات والبحوث الاقتصادية (رقم ٤) – شعبان ١٤١٨ هـ – ديسمبر ١٩٩٧ م – ص : ٤٢

وحرص الإسلام على ترسيخ قيمة الإتقان والإحسان في أداء الشعائر حتى تستقر عادة الإتقان في النفس وينسحب أثرها على أداء كل أمور الحياة، فجاء الأمر بإحسان الوضوء في قول النبى ﷺ فيما ثبت:

عَنْ حُمْرَانَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ ﷺ قَالَ: وَاللَّهِ لأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا وَاللَّهِ لَوْلا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلاةَ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاةِ الَّتِي تَلِيهَا»[1].

وبلغ الحرص النبوي الكريم على الإحسان في الأداء ، أنه أمر بإحسان ذبح الحيوان ، حيث ثبت:

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[2].

وأوصى النبى ﷺ بإحسان الأداء في كل شئ ، حتى في شأن الموتى ، ففي حديث:

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ وَلِيَ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ»[3].

وثبت في المعجم الكبير: عن عائشة رضي الله عنها، حضر النبى ﷺ دفن ولده، ورأى فرجة في القبر نتيجة عدم تصفيف الطين جيداً، فأمر بسد الفرجة وقال: «إن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه».

هكذا التوجيه النبوي في شأن إتقان قبور الموتى وإحسان كفنهم ، فكيف الأمر بالأحياء .

وقد بلغ الأمر بالرسول في شأن الحرص على الإتقان وإحسان أداء كل شيء، أنه دعا إلى إتقان قتل الزواحف السامة ، فقد ثبت:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً - نوع سام من الزواحف - بِالضَّرْبَةِ الأُولَى كَانَ لَهُ كَذَا وَكَذَا»[4].

تعليم الله ﷻ أنبياءه إتقان العمل :

كما سبق الإشارة ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم تعليمه لسيدنا داود كيفية الإتقان في

---

١) رواه مسلم فى كتاب الطهارة – باب فضل الوضوء والصلاة عقبه.

٢) رواه مسلم فى كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان – باب الأمر بإحسان

٣) حديث مرفوع متصل رواه أحمد فى مسنده – كتاب باقى مسند المكثرين – باب مسند جابر بن عبد الله

٤) حديث مرفوع متصل رواه الترمذى فى كتاب الأحكام والفوائد – باب ما جاء فى قتل الوزغ.

صناعة الدروع ، والتأكيد على وجوب العمل الصالح في مناسبة ذلك التعليم، بما يومئ إلى أن الصلاح ليس مقصوراً على فعل الشعائر التعبدية فقط .

فقال جل شأنه :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سبأ: ١٠-١١].

والملفت في هذا النص المبارك توجيه الله ﷻ إلى سيدنا داود بالحرص على إتقان العمل، والتنبيه عليه بالدقة في ضبط المسمار «وقدر في السرد» فلا يكون سميكاً فينحشر ولا يكون رفيعا فيقلق في الفراغ المخصص له ، وقوله سبحانه جل شأنه ﴿أن اعمل سابغات﴾ توجيه إلى تشكيل الدرع بما يناسب التفات جسم الإنسان ، حيث كانوا قبل ذلك يرتدون دروعاً كالصفائح المستقيمة ، على نحو ما جاء ذكره مفصلاً في تفسير ابن كثير .

والتعقيب على الأمر من الله ﷻ بقوله ﴿واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ يوجه إلى عدة معان هامة :

● الحرص على الدقة والإتقان ، فالعمل الصالح هنا يشمل ما أمر به سيدنا داود من الدقة في صناعة الدروع .

● أن الله ﷻ رقيب على العمل عليم بسلوك القائمين عليه ، وسيكون من مواقف المناقشة والحساب أمام الله ﷻ .

وفي سورة الكهف ، أبان الله ﷻ إتقان ما قام به ذو القرنين من بناء سور لمواجهة يأجوج ومأجوج ، كما في قول الله سبحانه جل شأنه :

﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[الكهف: ٩٤-٩٧].

وكما هو واضح في النص المبارك ، فإن مراحل العمل لم تكن بالأمر السهل، ويلاحظ التنبيه على الدقة والإتقان في صناعة السد ، حيث ساوى بين الصدفين «الجبلين» وفي تفسير ابن كثير أشار إلى الدقة في وضع قطع الحديد متساوية بعضها فوق بعض .

كما يلاحظ الحرص على قوة بناء السد من خلال إفراغ قطرات من النحاس «القطر» في الحديد كي يزيد من درجة صلابته .

كل تلك التوجيهات والتنبيهات تؤكد أهمية الحرص على الأداء المتقن في العمل حتى يكون صالحاً متقبلاً، أياً كان نوعه .

رابعا ـ الأثر المدمر للإهمال :

الإهمال في الأداء ، يعد من أسوأ مظاهر الإفساد في الأرض ، لأنه يلتبس بعمل يبدو في ظاهره متقنا ، بينما حقيقته غير ذلك .

وقد جاء النهى عن الإفساد في الأرض والتنبيه على خطورته على أكثر من وجه في القرآن الكريم ، فقال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف: ٥٦].

وأشار الله سبحانه وتعالى إلى عاقبة الإفساد من خسارة .. فقال :

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[البقرة: ٢٧]

ولايستوى العمل الصالح في الثواب مع الإفساد في الأرض، قد ترادف وصف المفسدين في القرآن مع وصف الفجار ، فقال الله ﷻ :

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[ص: ٢٨].

وآثار الإهمال ليست بالهينة ، فقد تتعاظم إلى حد يهدد الممتلكات والأرواح، فإهمال عامل صيانة سيارات مثلاً كفيل بوقوع حادث لحافلة كبيرة قد يزيد ضحاياها عن أربعين قتيلاً أو أكثر، وإهمال المهندس المدني في بناء أحد الأبراج السكنية يؤدى إلى انهياره وقتل مائة أو ما يزيد من السكان تحت الأنقاض، وإهمال التاجر في تحرى الدقة في تاريخ صلاحية السلع التى

يقوم بتوزيعها ، ينتهي به إلى تحمل خسارة سلع غذائية فاسدة أو توزيعها دون وعي منه بما قد يسمم المستعملين لها أو تعرضهم لأمراض قاتله، والأمثلة على ذلك كثيرة في كل مجال من مجالات الحياة ، فالإهمال لا يعود إلا بسوء العاقبة على الأمة ، ومحال على مجتمع يتسم جهازه الإنتاجي بالإهمال وينجح على المستوى الاقتصادي ، فالمستهلك المحلى سيبحث عن السلع المستوردة من الخارج ولو بأعلى الأثمان، والمستورد الأجنبي لن يحفل بإنتاجنا طالما اتسم بسوء الصنعة والإهمال، ومحصلة ذلك تنعكس زيادة في الواردات وخفضاً للصادرات، وخللاً في ميزان المدفوعات، وانخفاض قيمة العملة المحلية، حيث المعروض منها في الخارج أكثر من المطلوب، وتتوالى بعد ذلك أزمات البطالة والكساد وانخفاض الدخل القومي .

وعلاقة الإهمال وأثره ليس مقصوراً على تسارع الأزمات إلى المجتمع ، وإنما ينال المهمل المقصرمن الله ﷻ أشد العذاب نظراً للآثار المترتبة عليه ، والضحايا الذين تعرضوا لنتائج المهمل سواء من فقدوا أرواحهم أو تعرضت حياتهم للخطر أو المرض .

والخلاصة أن مفهوم العمل الصالح يستوعب أمانة الإتقان في العمل وإحسان أدائه على النحو الذي يرضى الله ﷻ ، في كل ممارسات الحياة .